

مِيزَةُ الْعَلِيِّ

رواية تاريخية للاب س. ت. اليسوعي (تابع)

فلما سمعت يهوديت كلام اخيها في حق المسيحيين اضطربت افكارها وخيمت على قلبها غيوم الهموم اذ انها كانت اجتمعت بكثيرين من المتصيرين في يروت فوجدتهم دمثي الطباع مهذبي الاخلاق. وكانت قهرمانتها دروتيا مسيحية وكذلك جملة من عبيد دار ايها... فيا ترى لو عرف يوسف اخوها بهم ماذا يفعل... فاردت ان تصرف عنهم فكره فقالت :

اراك تحب الرومانيين وقياصرتهم وتريد ان تكسب رضاهم - لا حياهم الله ولا يياهم. وكيف احب رومية وملوكها وهم يوغرون منأ الصدر ويستشيرون دفين الاحقاد. قد اشهروا لاورشليم مدينتنا المقدسة حربا اثيمة ولكن لي الثقة الوثيقة أنهم لا ينجحون في ما نوا لان عين العلي تصونها. وكان نيرون ارسل قسما من جنده ليناجزوها القتال فاثابه الله بأن قوي عليه احد مماليكه. فهذا جزء من يد يد الى بنت صهيون ومدينة داود. ومذ ذاك الحين لم تدق رومية هناء في امورها. بقي سنة واحدة تنازع ولايتها ثلاثة قياصرة. وقد رأيت قبل بضعة ايام قوما من الارباش يجرؤن في شوارع رومية جسم فيتاليوس الذي كانوا حيوه سابقا باسم القيصر قال هذا واطرق واجما ثم اردف قوله :

وفي غد ذلك اليوم بايع مجلس الشيوخ لفسپسيان الذي كان الجند سبقوا فنهبوا داره قبل يومين. ولا ريب ان سيناله ما نال نيرون لانه اراد خراب مدينتنا اورشليم وقد رأيت آخر في الاسكندرية فتأكدت ان ايامه معدودة

وكانت يهوديت في غصون ذلك ساكتة متحيرة وهي تفكر في ما يفلي في قلب اخيها من مراحل العداوة للرومانيين حتى خافت من ان يباينه ما فعل يهود يروت في الليلة البارحة اذ شاركوا الاهلين بزينة حيهم لما بلغهم فوز فسپسيان الذي استعبد الوفا من اهل جلدتهم

أما يوسف فبقي هنيئاً غانصاً في افكاره ثم عاد الى فكاهة طبعه وقال لشقيقته:
استمعك عذراً يا اختاه فاني أسمعك كلاماً رقيقاً صفاء عيشك فاحفظيه
كسر ولا تُعلمي به احداً حتى ابانا يعقوب نفسه فان والذي رجل تاجر لا يفقه غير
معاملات البيع والشراء فاذا بلغه ما قلت حسبي معنوها... وقد قلت ما قلت امامك
لاني لا اخفي عنك شيئاً وازيدك علماً باني انتظمتُ بسلك الذين يدعون بالقيورين
الذين همهم ان يعيدوا لمدينة داود رونقها القديم... والآن سرّي عنك ودعينا
نقضي أياماً قليلة في السرور والفرح قبل ان افارقك لتتمة مقاصدي

قال هذا ثم قبل اخته في جبينها وخرج يتنعم باغنية يونانية فبقيت يهوديت في
حجرتها وحدها تردد في فكرها ما سمعت من اخيها... فهذا الاخ العزيز الذي كانت
تنشق الى نظره قد رأته في حالة لم تحظر لها في بال فأنها ما كانت لتظن أنه واغر
الصدر على رومية واهلها. وان كانت في قلبه حزازات مثل هذه كيف ترجو ان يتم
فرحها بذلك الضابط الروماني الذي خلب عواطفها ؟ او يسمح اخوها باقترانها بالبتة ؟

الفصل الخامس

في الحرب

مرت الأيام وانقضت عن قلب يوسف همومه بما لقيه من اللطف وامائر الحب
بجوار شقيقته التي كان يضافيها الوداد ويخلص لها الاخاء منذ نعومة اظفاره فكان يقضي
بصحبتها ساعات اشهى لديه من شهد العمل يناجيه في احواله ويقص عليها اخباره
في أسهات المدن ويصيخ اليها سماعاً ثم تحدثه هي بامورها وما جرى لها في غيبته الطويلة.
وقصارى القول ان الشقيقين كانا يعدان أيام التلاقي اقصر من طرفة العين لما يرشفانه
من كؤوس الهناء حتى انه خيل ليهوديت ان اخاها لم يعد يفكر في الفراق فقالت له
يوماً وهي تداعبه :

يسرني أن ارى تلميذ الفلاسفة يرضى بالسكنى في يروت وان لم يلق فيها من
ضروب الملاهي والالعب ما لقيه في اثينة. وكأني بك لم تنفر من سماع لهجتنا اليونانية
التي إخالك تحسبها رطانة لما تقابلها بطلاوة كلام السيدات اللطيفات في عاصمة
اليونان... هيا اسرع بالرحيل لنأخذ لسانك على كلامنا البريري وعاداتنا الهمجية

فكان يوسف يبسم لهذا القول ضاحكاً فيجيب اخته :
اصبتِ يا أُخْتِيْهٖ فَإِنَّ هَٰذَا هُوَ الْاِسْبُوعُ الثَّالِثُ مَذْ وَطُئْتُ قَدَمِي سَاحِلَ بَعْرُوتِ وَهَآ
قَد قَرُبَ شَهْرُ شِبَاطٍ فَكَانَ الْاِحْتِقَآءُ يَئِ اِنْ اَهْجَرَ الدِّيَارَ لَكِنَّ لَطْفَكَ سَبَانِي قُتِبْتُنِي عَنْ
السَّيْرِ . ثُمَّ اَنْ وَالدَّاءُ يَعْقُوبَ لَمْ يَمُدَّ حَتَّى الْاَنَ . . .
فَمَا سَمِعْتُ يَهُودِيَّةَ اسْمِ وَالدَّاءِ حَتَّى قَطَبْتُ وَكَلَجَ وَجْهَهَا لِأَنَّهَا كَانَتْ تَرَى فِي
تَأْخُرِهِ دَاعِيَاً لِلْقَلْقَلِ لَاسِيَاً اَنْهُ لَمْ يُنْفِذْ إِلَيْهَا بِرِسَالَةٍ مِنْذُ بَضْعَةِ اَسَابِيعَ . فَعَسَى يَوْسُفَ
بِاتْرَؤَانِهَا وَنَدَمَ عَلَى مَا فَرَطَ مِنْهُ فَارْدَفَ قَوْلَهُ :

لَا تَقْلَقِي يَا عَزِيزَتِي لِتَأْخُرِ وَالدَّاءِ فِي الْقَدْسِ الشَّرِيفِ أَلَمْ تَفِيدِنِي عَنْهُ اَنْهُ يَرِيدُ
حُضُورَ عِيدِ الْفَصْحِ فِي اَوْرُشَلِيمَ . وَامَّا رِسَالَتُهُ فَإِنَّ شَاءَ اَللَّهُ تَرَدَّدًا عَمَّا قَلِيلٍ
قَالَ يَوْسُفَ هَٰذَا لِيَطْمَئِنَّ اَخْتُهُ لَكِنَّهُ فِي حَقِيقَةِ الْاَمْرِ كَانَ مَشْغُولَ الْفِكْرِ كَاسِفِ
الْبَالِ لَا يَعْلَمُ مَاذَا يَحِلُّ بِاَوْرُشَلِيمَ وَسَكَانِهَا . اَجَلُ اَنْ الْمَدِينَةَ مَذْ تَبَوَّأَ قِسْطِيَانُ سُدَّةَ
الْمَلِكِ قَدْ اُرْخِيَ عَنْهَا الْحُنَاقُ وَخَفَّتْ اَهْوَالُ الْحَصَارِ . وَلَكِنْ اُتْرَى اَنْ هَٰذِهِ الْمَدِينَةُ تَدُومُ
زَمَنًا طَوِيلًا . تِلْكَ كَانَتْ اَلْمُوَاجِسُ الَّتِي تَخَالِجُ فِكْرَ يَوْسُفَ فَاحْبَبَ اَنْ يَكْتُمَهَا
عَنْ اَخْتِهِ

قَالَتْ يَهُودِيَّةٌ : اِنَّ كَلَامَكَ يَا اَخِي يُسْرِى عَنِّي بَعْضَ هُمُومِي لَكِنَّهُ لَمْ يَسْكُنْ
لِبَلَابِي تَمَامًا . وَكَانِي اَحْسُ بِالْذَّهْرِ وَاقَمَّا لَنَا بِالْمُرْصَادِ يَتَهَدَّدُنَا بِقَوَارِعِهِ . وَمِمَّا زَادَ قَلْقَلَتِي حَلْمٌ
اَحْتَمَلْتُهُ فِي بَعْضِ لَيَالِي السَّابِقَةِ . خُيِّلَ لِي اَنْنِي فِي مَرْسَحِ الْاَلْعَابِ وَالْقَوْمِ يَضْجُونَ بِاَصْوَاتِ
الْفَرْحِ وَيَهْلَلُونَ بَيْنَمَا كَانَ الْمَصَارِعُونَ يَاقَاتِلُونَ الضَّوَارِي فِي مَيْدَانِ الْمَرْسَحِ . وَاَنَا لَكَذَلِكَ وَاِذَا
بَأْسَدِ هَائِلٍ اَسْوَدَ بَرَزَ لِلْقِتَالِ وَهُوَ يَزَارُ وَبَازَاثِهِ وَالِدِي الْعَزِيزُ يَحَاوِلُ رَدَّهُ عَنْهُ . فَذُعُرْتُ
وَكَادَ قَلْبِي يَطِيرُ شِعَاعًا لَاسِيَاً اِذَا رَأَيْتُ بَقْعًا مِنَ الدَّمِ عَلَى الْخَضِيضِ فَصَرَخْتُ صَرْخَةً
اِفَاقَتْنِي مِنْ نَوْمِي وَانْتَهَبْتُ لَهَا دُورَوْتِيَا أَمَتِي فَبَادَرْتُ اِلَيْهَا لِتَسْكُنَ جَانِبِي . لَكِنَّ فَرَانِصِي
تُرْعَدُ كُلَّمَا تَصَوَّرَ لِي هَٰذَا الْوَحْشُ الضَّارِي . . .

- مَا هَٰذَا يَا اَخِيَّتِي اتَصَدِّقِينَ اَنْتِ اَيْضًا اَضْغَاثُ الْاَحْلَامِ . . . دَعِي عَنْكَ هَٰذِهِ
الْوَهْمَاتُ . اَمَّا اَنَا فَقَدْ نَبَذْتُ مِثْلَ هَٰذِهِ الْخُرَافَاتِ فَلَا اَعْرِيهَا بِالْأَوَّلِ . وَكَمْ مِنْ مَرَّةٍ رَأَيْتُنِي فِي
الْحَلْمِ اَقْبَلَ رَكَامَ الذَّهَبِ . فَمَا كُنْتُ عِنْدَ الصَّبَاحِ اَغْنِي مِنْنِي فِي الْمَنَامِ وَلَا اَرَى اَسْدَكَ
الْأَكْدَانِي

*

وفي تلك الغضون كان الضابط راسيوس قد شفي من جرحه الشفاء التام وهو لا يزال في مصيف لوقيليوس المبني فوق الربوة المشرفة على نهر يبروت ينتظر اوامر الامبراطور ليعود الى فيلقه. لكن جلوس القيصر الجديد لم يكن يسمح له بعد ان يهتم بامر الجيوش ويستدعي الضباط الداهبين بالرخصة. وعليه فكنت تراه يقضي أيامه على جواده تارة يخرج الى الصيد في غابات لبنان المجاورة لبروت يسابق فرسان البلد في مراح الحيل على رؤوس الملا من الاهلين الذين كانوا يتقاطرون الى معاينة هذه المشاهد البهجة وكان اسم راسيوس شائعاً على ألسنة القوم لما عهده فيه من القروسيّة والإقدام ورّبما حكموا له بقصة السباق على اقراه

وكان لوقيليوس صديقهُ يُسرّ بما يراه فيه من انجلاء الهم عن قلبه وفراحة طباعه ولم يعد يسمعه في معرض الحديث يذكر الفتاة التي فتنت قلبه فظن ان كلامه عمل في صديقه وصرقه عن عواطفه نحوها وميله اليها

لكنهُ خُدع بالظواهر فان جرح قلب راسيوس لم يلتئم بعد برّنه من سهم البرّتين وانما كان كلام لوقيليوس حاك في نفسه مدّة يوم او يومين فقط ثم عادت آماله فانتعشت فيه بل زادت قوّتها لكنه كان يخفيها عن صديقه ويكتسها في طي صدره وكان منذ مساء النهار الذي فيه تلاقى بحفّة السيّدة المجهولة على طريق مغارة الحمام قد مرّ عليه عشرون يوماً لم يألُ جهده في لقاء ذلك الموكب وهودج تلك السيدة مرّة أخرى غير ان مساعيه كانت تجبّط فيعود المساء بخفي حنين

فاحبّ يوماً ان يركض جواده قريباً من دار الورود علّه يرى وراء حواجزها تلك التي استهوت قلبه فكان يجد الدار مقفلة لكنه عاب الورود التي ترمي النافذ وهي ناصعة الالوان زاهية تتعطر من اريجها الارزاء. فاكفى بهذا الدليل ليمتني نفسه بالآمال الطيبة

وكان يحال له ان امانيه ستتحقق يوماً الا ان الآلهة لا تمنح مبتغاه حتى يكون فاز بالكيل الانتصار بعد حرب يشهرها لاعداء رومية على ثغور المملكة فيعود ظافراً وعلى رأسه اكليل الغار شارة المنتصرين. وكانت مخيلته تصوّر له حفلة دخوله المدينة اذ القوم يتناشدون بمديحه والامبراطور يجعل في اصبعه خاتم الفرسان. فلا بدع ان ذلك

اليوم سيفتح له أيضاً باب دار الورود فيحطيه صموئيل بيد ابنته يهوديت فيقضي معها عيشة السعادة والرخاء.

تلك كانت افكار راسيوس الضابط تهجس في صدره مدة انتظاره لاوامر القيصـر. وكانت الحرب على وشك الانتقاد وهو لم يدرك ان دارها قريبة منه وانه سينتضي سيفه الحسام على قوم تربطهم ويهوديت اواخي الدين والجسنة (ستأتي البقية)

الحفريات والمستحجرات

للأب غدفريد زموفن اليسوعي مدرّس الطبيعيات في كنيسة القديس يوسف

وعد المشرق بان ينشر فصلاً في المستحجرات فاسرعنا الى كتابة هذه النبذة وفاء بالوعد فنبين أولاً ماذا يراد بالمستحجرات وما هي خواصها وشروطها ثم نذكر اصنافها على حسب ازمنتها في الطبقات الجيولوجية

١

اعلم ان بعض الكتبة الشرقيين لما نقلوا عن العلماء الجيولوجيين مقالاتهم في طبقات الارض وما وجد فيها من آثار الاجسام الآلية كالنبات والحيوان والعناصر المتبلورة والمواد المعدنية اطلقوا على كل ذلك اسم المستحجرات وهم يريدون بالاجمال الاجسام الحفرية وليست المستحجرات ألا قسماً من هذه الآليات وعليه لا زى بدأ من تعريف الحفريات عموماً قبل ذكر المستحجرات خصوصاً فنقول :

ان الحفريات (fossiles) تكون على ثلاثة اقسام:

(القسم الأول) منها يشمل البقايا الآلية التي حفظت في قلب الارض دون تغيير في تركيبه الكيـموي الذي كان عليه في الاصل مثال ذلك العظام والقرون والاظافر والاصدا ف وخراشف الاسماك وبيوت السلاحف وقطع الاخشاب. على ان هذه الآثار لا ترى في تركيبها الاصل تماماً بل يطرأ عليها بعض التغيير اللهم ألا في طبقات الارض العليا. وانما يترادف تغيير تركيبها على قدر اختلاف بعدها عن طبقات الارض الظاهرة